مكانة السلام في الأديان السماوية

د. أحمد عبد الرحيم(*)

(*) باحث أول بمركز الدوحة الدولي لحوار الأديان

ملخص البحث:

لا شك أن كل الأديان السماوية ورسل الله جميعا، من آدم عليه السلام وحتى محمد صلى الله عليه وسلم، كلهم جاءوا هادين للإنسانية، ليجعلوا من السلام أساسا راسخا لكل الأديان، وبهذا شرع الله عز وجل السلام، وأمر الناس بالعيش في هذه الدنيا به، والدعوة إليه، ليعيشون في أمن وطمأنينة وأمان.

فالأديان السماوية تتفق جميعها على أن حفظ نفس الإنسان وعقله وماله ودينه وعِرضه من المقدسات التي لا يمكن التهاون فيها أو المساس بها، وكل ما يخالف ذلك - وإن لبس صاحبه لباس الدين- فذلك من عمل الشيطان والنفوس الضالة الخبيثة، والدين منه براء.

كلمات مفتاحية: الأديان،- السلام- الصراعات- اليهودية- المسيحية- الإسلام

Abstract:

There is no doubt that all the Monotheistic Religions and messengers are all, starting from Adam, peace be upon him, till Mohammad, peace be upon him, are God's religions; and all of them came to guide the Humanity, to make the Peace a firm foundation for all religions, thus Allah (God) prescribed Peace, and ordered the people to live in peace, to call for it, so as to live in security, peace of mind and safety.

All Monotheistic Religions agreed on that; saving human's soul, mind, money, religion, and honour is sacred, and cannot be tolerated or compromised, and all otherwise - even wearing religion uniform- is a work of Satan and the malignant souls, and the Religion is innocent.

Keywords: Religions, Peace, Conflicts, Judaism, Christianity, Islam

مقدمة :

الأديان السماوية ومكانة السلام بها عنوانٌ بات يستوجب وقفةً صادقةً وجذريةً في عالمنا الآن؛ لما تعانيه الإنسانية اليوم من خطرٍ حقيقي، من ذلك الكم الهائل والخطير من الحروب والصراعات والتطرف والإرهاب؛ فالصراعاتِ التي يواجهها عالمُنا اليوم- لا بدَّ أن نعترفَ أنَّ- للتعصبِ الدينيّ فيها النصيبَ الأكبر؛ فالفهمُ السقيمُ العقيمُ لمقاصدِ الدينِ الحقيقية، وغايةِ الله الأسمى من خلقه، ومساندةُ هذا الفهم بنظرةٍ سُلطويةٍ وممارساتٍ تدعمُها الكراهيةُ الدينيةُ والقومية، وادِّعاءُ الوصايةِ على العقول؛ كلُّ ذلك قد أفرزَ لنا- ولا شك- تلك النماذجَ المتطرّفة عملت على تأجيج نيران العداء والصراع الناشئ في الحقيقة عن أفهامٍ مغلوطة، وأحكامٍ مُسْبَقة، وتصوُّراتٍ ذِهنيَّةٍ خاطئة تجاه بعضنا البعض.

وسوف يتناول هذا البحث محورين:

المحور الأول: مكانة السلام في الأديان السماوية.

المحور الثاني: حرمة إذهاق النفس الإنسانية في النص القرآني.

المحور الأول: مكانة السلام في الأديان السماوية

إنَّ علاقة الإنسان بأخيه الإنسان المبنية على المحبة والسلام والأخوة هي جوهر الأديان السماوية وأساسها، وأصل مهم من أصولها؛ فقد خلقنا الله جميعًا واختارنا بشرًا لإعمار هذه الأرض، ولا يكون ذلك إلا بسلام أهلها.

فكيف للإنسان الذي خلقه الله، ونفخ فيه من روحه، وقذف في قلبه الرحمة والمحبة أن يكون كما حيوانات الغابة يأكل بعضها بعضا!

وهذه هي دعوة الدين الإسلامي للسلام والرحمة للعالمين، بل إن الله سبحانه وتعالى سمَّى نفسه في القرآن الكريم السلام، فقال: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ**﴾[1]، وأرسل أنبياءه للعالمين بالسلام، وأخبر سبحانه في كتابه الكريم عن خاتم رسله محمدٍ صلى الله عليه وسلم ووصف رسالته في آيةٍ مُحكَمةٍ جامعة لكل ما يحمله معنى السلام للبشرية أجمعين، فقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[2]، ومن قبلُ أيضًا المسيح عيسى عليه السلام الذي اختار اللهُ حين مدَحَه أن يقول عنه: ﴿**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾[3] ، وكذلك اختار اللهُ السلامَ تحيةً لعبادة الصالحين يوم لقائه، فقال: "**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ**﴾[4].ولذلك دعى القرآن الكريم للسلام، وسلوك كافة السبل التي تحققه فقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾[5]، وبشَّر المؤمنين بأن لهم من ربهم السلام، وسمّيت الجنة بدار السلام، فقال تعالى: ﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾[6] ، وأرشد الله نبيه أن يقدِّم السلام، ويسعى إليه، فقال: ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾[7] ، وحذَّر سبحانه المؤمنين بأن يشككوا في أيّ أحدٍ دعاهم إلى السلام، وأوجب عليهم قبوله ومسالمته، فقال: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ**﴾[8] ، وبشر المؤمنين بأعظم نعمة أنعمها عليهم، وستكون لهم في الآخرة، ألا وهي نعمة السلام فقال: ﴿**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ**﴾[9].

هذا بعض ما جاء في القرآن الكريم عن مكانة السلام.

أمَّا في الإنجيل: ففي العهد الجديد جاءت كلمة السلام **(349)** مرةً في**(العهد القديم)**، وجاءت**(101)** مرةً في **(العهد الجديد)**،ومن ذلك:

- مدح الإنجيل للمسالمين والداعين إلى السلام والمحبة وتبشيرهم بسلام الله لهم ومحبته: "**طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ**"[10].

- السلام أول ما بشَّر به الملاك مريم العذراء عليها السلام وقال لها:
"سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ" [11].
- جاءت أعظم الوصايا عن المسيح عليه السلام حينما سأله الناموسي عن أعظم الوصايا فقال: **"تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. 39 وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ"**[12].
- وأخيرا كان السلام هو الكلمة والعمل الذي دعى إليه المسيح وتركه للناس: **"سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ، سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ"**[13].

وفي العهد القديم:

- نرى الله هو واهب السلام محبة منه وعطاء، فجاء في سفر العدد: **"يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاَمًا"**[14].
- جعل الله السلام ميثاقًا وعهدا لما له من قيمة عظيمة،ففي سفر العدد ، حينما كلم الله موسى عليه السلام قال: **"هأَنَذَا أُعْطِيهِ مِيثَاقِي مِيثَاقَ السَّلاَمِ"**[15].
- جعل الله السلام للبشر حكما وشريعة، ففي تتمة سفر أستر، حينما أراد هامان أن يؤذي مردخاي وشعبه جاءه ذلك القول العظيم من الملك: **"لَمْ أُحِبَّ أَنْ أُسِيءَ إِنْفَاذَ مَقْدِرَتِي الْعَظِيمَةِ، وَلكِنِّي حَكَمْتُ بِالرَّحْمَةِ وَالْحِلْمِ حَتَّى يَقْضُوا حَيَاتَهُمْ بِلاَ خَوْفٍ وَبِسَكِينَةٍ وَيَتَمَتَّعُوا بِالسَّلاَمِ الَّذِي يَصْبُو إِلَيْهِ كُلُّ بَشَرٍ"**[16].
- جعل الله السلام منه بركة وعزًا لشعبه، ففي سفر المزامير: **"الرَّبُّ يُعْطِي عِزًّا لِشَعْبِهِ الرَّبُّ يُبَارِكُ شَعْبَهُ بِالسَّلاَمِ"**[17].
- جعل الله السلام خير مطلب ودعاء، ففي سفر المزامير جاء هذا الدعاء العظيم: **"حِدْ عَنِ الشَّرِّ، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ. اطْلُبِ السَّلاَمَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا"** [18].

المحور الثاني: حرمة إذهاق النفس الإنسانية في النص القرآني

يؤكد القرآن الكريم في مواضعَ عديدةٍ أن حياة الإنسان مُقدَّسة، ولا يجوز لأحدٍ أن يعتدي عليها ظلمًا وعدوانًا ؛ فحقُّ الأمن والسلام لكلِّ إنسان حقٌّ عامٌّ يخصُّ الوجود الإنسانيَّ كلَّه، فقد جعل الله لنفس الإنسان الذي كرمَّه وأسجد له ملائكته حرمة، ووهبه- لكونه إنسانًا- الحق في حياة آمنة بعيدة عن الترويع والعنف والعدوان والاعتداء، وأكد القرآن الكريم كذلك في آياتٍ كثيرة أنه ليس هناك ذنبٌ وجرم أعظم من إزهاق هذه النفس بغير حق، أو ترويعها والاعتداء عليها؛ فالله سبحانه وتعالى وحده واهب الحياة وهو وحده منتزعها، وحقُّ الحياة حقٌّ خالصٌ لله تعالى؛ لاتصاله بمخلوقه الذي كرمه وأحسن خلقه وفضله

على العالمين، وارتباطه كذلك بأمانة التكليف، وعمارة الدنيا، واستخلاف الله للإنسان فيها. فإذا كان من حقّ الإنسان أن يَحْيا على هذه الأرض؛ فمن واجبه كذلك أن يحافظ على هذه الحياة، سواء كانت حياته أو حياة الآخرين. **قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾**[19].

وهنا سوف نتوقف عند أربعة مواضع في القرآن الكريم؛ يتجلى لنا فيها تلك الحقيقة القاطعة في النص القرآني تجاه حرمة قتل النفس الإنسانية- أيّ نفس- بغير حق:

الموضع الأول: الآيات الذي جاء فيها الأمر بلفظي (اقْتُلُوا)

جاء في القرآن الكريم أمرًا في **(ثلاثة وثلاثين)** موضعًا بلفظ **(قَاتِلُوا)** وفي **(خمسة)** مواضع في **أربع** آيات جاء الأمر بلفظ **(اقْتُلُوا)**. فهل كلمة **(اقْتُلُوا)** دعوة صريحة للقتل؟! ولما جاء هذا الاختلاف في الذكر في الآيات الكريمة ما بين الكلمتين؟

قال تعالى: **﴿وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾**[20].

وقال تعالى: **﴿فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾**[21].

قال تعالى: **﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾**[22].

قال تعالى **﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾**[23].

هذه الآيات الخمسة التي ذُكر فيها الأمر صراحةً بقوله تعالى **(اقتلوهم)**، ودائما ما يذكرهن الطاعنين مقطوعات من سياق الآيات كدليل على الإسلام أن القرآن يدعو للقتل.

ومن يقرأ القرآن بإنصاف ويبحث لفهم معناه؛ سيعرف كم في هذه الآيات من العدل والرحمة:

- **الآية الأول (في موضعين):**

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾[24].

بدأها الله تعالى بقوله: **(وقاتلوا)**، والمقاتلة تعني أن هناك فئتين يتقاتلان، وكذلك كل الأفعال التي على وزن **(المفاعلة)**، كالمضاربة والمقايضة والمصارعة، وقد قيَّد الله هذا القتال بقوله: **"الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ"**، بل تبع ذلك بالنهى عن الاعتداء على غير المقاتلين فقال: **"وَلَا تَعْتَدُوا"**. فإن سأل سائل: لكنه قال بعد ذلك **(و اقتلوهم)**، فالجواب: إن من كان بساحة المعركة لا يمكن لمن يُقويه ويدعِّمه إلا أن يقول له أدِّ عملك بشجاعة وبكل ما تملك من قوة لتنتصر، والمعارك لا انتصار فيها بعد المقاتلة إلا بالقتل، وهذا ظاهر لكل ذي عقل، ولو تأملنا قوله تعالى: **"ثَقِفْتُمُوهُمْ"** وبالبحث عن معنى كلمة **(ثقفتموهم)** في العربية؛

لعرفنا أن كلمة الثِّقاف في العربية أي الحديدة التي تكون مع القَوَّاسِ والرَّمّاحِ، والثِّقافة هي صناعة السيوف[25] ، وهذا يشير إلى أن المكان الذي يكون فيه القتال، هو مكان التقاء السيوف، وفقط، وليس في أي وقت، ولا أي مكان غير هذا؛ ولذلك حينما جاء في نفس الآية ذكر تحريم القتال عند المسجد الحرام؛ عُلق القتال بشرط معاودة المحاربين له، وليس ابتداء "**فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**"

- **الآية الثانية: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۚ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾**[26] (سورة النساء: 90، 91).

تأمل لتجد الله تعالى ينهي المسلمين عن القتال في أول الآية؛ مادام لم يقاتلهم أحد وكان مسالما؛ لكن إن لم يكفُّوا أيديهم عن قتال المسلمين ولم يسالموهم؛ تُرى ماذا يكون الأمر؟ وأيُّ شريعة عادلة تأمر إلا بقتال مثل هؤلاء؟! ورغم ذلك يقول تعالى أيضا تقييدا لهذا القتل: "**حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**"؛ إشارةً إلى أن الهذا القتل لا بد أن تكون بساحة القتال فقط، وليس في مكان آخر به مسالمون غير مقاتلين؛ ولذلك- وهذا من عظمة القرآن الكريم ودقة ألفاظه- اختار هذه الكلمة **(ثقفتموهم)** دون غيرها.

- **الآية الثالثة:**

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۚ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[27].

هذا الموضع فقط التي ذكر الله تعالى القتل فيه في موضِعٍ غير ساحة القتال، فلماذا قال هنا: "**حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ**" ولم يقل: "**حيث ثقفتموهم" كما في الآيتين السابقتين**؟

الجواب كذلك بديع من بدائع بلاغة القرآن الكريم؛ لأن الأمربالقتل هنا ليس للأعداء المقاتلين، وإنما لفئة من المسلمين بغت وخانت العهد وهم المنافقون؛ وكيف يكون التعامل مع الخائن الذي يتظاهر أنه منك، وهو ينصر عدوك ويقتلك بظهرك؟!

هذه هي المواضع الخمسة التي ذُكر فيها الأمر بالقتل بصيغة **(و اقتلوهم)**، وقد بيَّنتُ سبب اختيار اللفظة، لكننا سنجد **(ثلاثة وثلاثين)** موضعا جاء فيها الأمر بالمقاتلة وليس القتل، فكان الأمر بصيغة **(وقاتلوا)**، أي مقاتلة العدو الباغي المعتدي أو الذي يمنع تبليغ دعوة الحق للناس، فإنك إذا دُعيت وكُتب عليك القتال دون اعتداء ودون ظلم وجور؛ فلا يكون، ولا ينبغي أن يكون، منك إلا الاستجابة والشجاعة؛ وأيُّ عقلٍ وحكمةٍ تقول غير هذا؟!

- **الآية الرابعة:**

قال تعالى **﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾**[28]

كما أشرنا في الآية الأولى في الموضع الثاني بذكر الحرص على تحريم القتال عند المسجد الحرام فكذلك تحريم القتال في الأشهر الحُرم، وهذه قرينة واضحة أن القتال للمحاربين فقط.

الموضع الثاني: نبأ قتل أحد ابني آدم عليه السلام لأخيه

قال تعالى: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[29]

الخطاب من الابن المقتول في الآية لأخيه جاء حديثًا عن نفسه ابتداء في قوله **﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ... مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾**، والبعض يرجع هذا لأنه المتحدث فمن الأولى أن يبدأ بحاله أو ما يعود عليه، إلا أن هناك لفتة بيانية يظهر لنا من خلالها اختلاف الحال ما بين المعتدى عليه والمعتدي بالقتل؛ فتقديم **(إليَّ)** في حالة القاتل في قوله **﴿إِلَيَّ يَدَكَ﴾** ؛ والتي توحي أن الغاية هي المقدَّمة عند كلّ قاتل متربص بمن يريد قتله.

أمَّا في حالة المدافع عن نفسه فلا غاية عنده ولا إرادة للقتل، وإنما ذاك دفاع واتقاء؛ ولذلك تقدمت الوسيلة عن الغاية فوجدنا قوله تعالى: **﴿ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾**.

الموضع الثالث: التخويف الشديد من الإقدام على جريمة قتل النفس

قال تعالى : **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾**[30].

فعنْ أَبي بكْرةَ رضي الله عنه أنَّ رسُول اللَّه ﷺ قَالَ في خُطْبتِهِ يوْم النَّحر بِمنىً في حجَّةِ الودَاعِ **"إنَّ دِماءَكُم، وأمْوالَكم وأعْراضَكُم حرامٌ عَلَيْكُم كَحُرْمة يومِكُم هَذَا، في شهرِكُمْ هَذَا، في بلَدِكُم هَذَا، ألا هَلْ بلَّغْت"**. قال ابن عباس رضي الله عنهما: **"فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب"**[31].

حينما يكون الأمر خطير يكون التحذير مباشر بالعقاب ولكن حينما يكون الأمر بخطورة كالقتل يكون التحذير أبلغ من مجرد ذكر العقاب الآجل.. وهذا ما ذكرته الآية الكريمة .

فلم يتدرج التحذير بالعقاب الأدنى للأكبر وإنما ذكر الله عقاب جهنم للقاتل وهذا أقصى عقاب، ثم ليحذر الناس أكثر من مجرد الإقدام والاقتراب من جريمة كقتل النفس البريئة، قال تعالى: **"وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ"**، وهذا يعني في الدنيا، ثم قال: **"وَلَعَنَهُ"** أيضا يلحقه اللعن في الدنيا، ثم أتى بما هو أقسى عقابا وذلك في الآخرة: **"وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا"**؛ وهذا فيه إيضاح أن الغضب واللعن للقاتل سيكونان في الدنيا وليس في الآخرة؛ وهذا أقصى درجات التخويف؛ لأن التحذير بالعقاب في الآخرة قد يجد الإنسان فيه متسعا بالتوبة والعفو والمغفرة، أما لشدة الأمر فقد تبع الله ذلك التحذير بأن القاتل سيوافيه الجزاء مباشرة في الدنيا قبل الآخرة بالغضب واللعن.

الموضع الرابع: أمر الله تعالى للمؤمنين بالدخول في السِّلم كافة

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[32] (سورة البقرة: 208)

السِّلْمُ بكسر السين: أصلها مادة سَلِم، والبعض- كما ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره- ذهب بمعناها إلى الإسلام.

والسَّلْمُ بفتح السين: الصُّلحُ، قال تعالى: ﴿**وإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾[33] (سورة الأنفال: 61)

ما أراه أن معنى (السِّلم) لا يُقصد به في هذه الآيةالإسلام، وإنما يقصد به السَّلام.

فقد جاء في لسان العرب في معنى مادة سَلِمَ،السِّلْمُ بالكسر: السَلامُ والسِّلْمُ ،المُسالِم، تقول: أنا سِلْمٌ لمن سالمني.

ويقوي هذا المعنى النداء في أول الآية، فقد جاء النداء للمؤمنين ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ ومعلومٌ أن الإيمان هو المرتبة الأعلى من الإسلام فكيف يُنادى من هو أعلى ليدخل بالمرتبة الأقل؟! أيضا التمييز لكلمة السِّلم بقوله **(كافة)** تبتعد عن أن يكون معناها الإسلام؛ لأن الإسلام في ذاته كلٌّ لا يتجزأ، فلا يُوصف الشخص بالإسلام ما لم يأتِ بأركانه كلِّها، فذكر الكلمة وحدها **(الإسلام)** كافٍ بخلاف الإيمان أو السلام، فالإيمان قد ينقص الإنسانَ منه شيءٌ لكنه يبقى مؤمنا ناقص الإيمان. وكذلك السلام قد أسالم لكنَّ عيني تجنح إلى الحرب بطرفٍ خفي فلا يكون سلامي كاملا، أو قد أسالم أناسا وأعادي أناسًا آخرين؛ لذلك لزم قوله تعالى بعد ادخلوا في السلم أي السلام أن يتبع بكلمة كافة.

كذلك آخِر الآية يوجه المعنى إلى السلام وليس الإسلام، وهي قوله: **"ولا تتبعوا خطوات الشيطان"** فالمرء لا يخرج من الإسلام تدريجيًا فهو إمَّا مسلم أو غير مسلم، لكن السلام لينتهي لا بد من إقاع العداوة والبغضاء التي يلازمها فعل الشيطان بأن يقدم لنا خطوات للبغض والعداوة فيجنبنا بعد كل ذلك السلام بالنهاية.

أمرٌ آخر وهو في قوله تعالى: ﴿**وإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾[34] (سورة الأنفال: 61)، فلم يقل سبحانه وإن جنحوا للسِّلم؛ لأن السَّلم معناه الصلح والسِّلم معناه السلام، والصلح هو المناسب لهذه الآية؛ لأن السلام لا ينفك وجوده بالمسلم حتى بوقت الحرب، وهي دليل على أن الحرب لا يعرفها الإسلام إلا دفاعًا ومواجهة لمعتدٍ، أو اتقاء منعٍ لتبليغ شرع الله وقد انتفى هذا المنع في عصرنا الحالي لاكتمال طرق التبليغ وتعددها، فلا يُطلب بأن يجنح المسلم للسلام؛ لأنه ملازم له بكل الأحوال. لكن يجنح للسَّلم (الصلح) مع المحاربين له إن هم جنحوا للصلح.

ومعنى هذه الآية الكريمة كاشفٌ لمن يظن أن الإسلام ليس دين سلامٍ؛ فالإسلام والمسلمون مأمورون من ربهم سبحانه وتعالى بأن يُسالموا الناس كافة، ويأخذوا بالسلام بكافة سبله حتى يتحقق لهم

الإيمان ويوصفون به، فما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم بالإسلام إلا مسالِما وهاديًا، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[35].

وأما ما كان من غزوات وحروب لو تأملناها فكلها كانت إما للدفاع فقط أو كان مبدأها نشر الإسلام والدعوة إليه، وكانت تبدأ برسالة وطلب من حكام البلاد ألَّا يمنعوا المسلمين من تبليغ رسالتهم للناس بالسلام، فمَن قبل بذلك فلا حرب بيننا، ومن حال بين الناس وبين أن تصلهم رسالة الله فهو ذاته المعتدي. فلم تكن حروب المسلمين أبدا للتوسع أرضًا ومالًا ولا جاهًا وسلطانًا؛ ولذلك ما عُرف عن المسلمين في فتوحاتهم ظلمٌ للعباد، ولا حرقٌ للبلاد، ولا هدمٌ لمعابد ولا كنائس، بل كان العكس، وهذه وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه بمعركة الجمل: **"لا تبدأوا القوم بقتال، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح، وإذا هزمتموهم فلا تتَّبعوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثِّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً.. ولا تهيجوا امرأةً بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسَبَبنَ أمراءكم وصلحاءكم"**[36].

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.
2- الكتاب المقدس (العهد القديم - العهد الجديد).
3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري.
4- ابن منظور ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري)، لسان العرب، ج3، (مادة ثقف).

الهوامش:

---

(1) سورة الحشر: 23 .
(2) سورة الأنبياء: 107.
(3) سورة مريم: 33.
(4) سورة الأحزاب: 44.
(5) سورة البقرة: 208.
(6)سورة الأنعام: 127).
(7) سورة الأنفال: 61.
(8) سورة النساء: 94.

(9) سورة الحجر: 46.

(10) إنجيل متى (5: 9).

(11) إنجيل لوقا (1: 28).

(12) إنجيل متى: (22- 37-39).

(13) إنجيل يوحنا (14: 27).

(14) سفر العدد (7: 17).

(15) سفر العدد (25: 12).

(16) تتمة سفر أستر (4: 2).

(17) سفر المزامير (29: 11).

(18) سفر المزامير (34: 14).

(19) سورة الإسراء: 70 .

(20) سورة البقرة: 191.

(21) سورة النساء: 91.

(22) سورة النساء: 89.

(23) سورة التوبة: 5.

(24) سورة البقرة: 190- 191.

(25) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري)، لسان العرب، ج3، (مادة ثقف).

"الثِّقاف خشبة تسوَّى بها الرماح. وفي حديث عائشة تَصِفُ أَباها، رضي الله عنهما: وأَقامَ أَوَدَه بِثِقافِه، والثِّقاف حديدة تكون مع القواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج . وقال أبو حنيفة :الثقاف خشبة قوية قدر الذراع في طرفها خرق يتسع للقوس".

(26) سورة النساء: 90، 91.

(27) سورة النساء: 88، 89.

(28) سورة التوبة: 5.

(29) سورة المائدة: 28.

(30) سورة النساء: 93.

(31) رواه البخاري ومسلم (متفقٌ عَلَيهِ) .

(32) سورة البقرة: 208.

(33) Nسورة الأنفال: 61).

(34) سورة الأنفال: 61).

(35) سورة الأنبياء:107).

(36) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جـ ٣ ، ص(٢٤٢، ٢٤٣).